

لغة تميم البرغوثي في ندوة لجمعية النقاد الأردنيين

ضمن سلسلة نشاطاتها النقدية الدورية، أقامت جمعية النقاد الأردنيين يوم الخميس ٢٠٢١/٩/٣٠ في رابطة الكتاب الأردنيين ندوة متخصصة بعنوان "تحولات اللغة في شعر تميم البرغوثي"، قدّمها الدكتور مراد البياري أستاذ اللغة في الجامعة الأردنية، وأدارها أستاذ النقد الحديث الدكتور عاصم بني عامر، تناولت بالدرس والتحليل نموذجاً شعرياً للشاعر الفلسطيني تميم البرغوثي عنوانه "في القدس".

استعرض الدكتور عاصم بني عامر مدير الندوة أعمال البرغوثي ومكانته في الوسط الشعري وقدرته على الجمع بين الشعريين العمودي والحر، وانضباط قواعده الشعرية التي تعطي من السلف وبطولاتهم، وأشار إلى أن اللغة الشعرية تكمن قيمتها في الوخز والتأثير، وهذا تماماً ما هيأ مكانة خاصة لتميم في الشعر المعاصر.

فيما استهلّ الدكتور مراد البياري حديثه في هذا الموضوع بالتأكيد على أن اللغة ركيزة أساسية في العمل الأدبي، يمكن أن توفر لمنشئ النص قاعدة إقناعية متينة جنباً إلى جنب مع الملامح الجمالية الإبلاغية، فاللغة مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بعبقرية الإنسان، وقد امتلك تميم البرغوثي خصائص أسلوبية مائزة جعلته في مقدمة شعراء عصره.

قسّم البياري حديثه عن تحولات اللغة لدى تميم البرغوثي في قصيدته "في القدس" إلى ثلاثة محاور رئيسة هي : جملة العنوان، والفعل ودلالته في القصيدة، والأساليب اللغوية وأثرها في بنية النص الشعري.

في المحور الأول قرأ البياري عنوان قصيدة "في القدس" قراءة لسانية دلالية جمالية ضمن آليات انفتاح النصوص، وعدّ العنوان في أي نص أدبي "مدخلاً للعبارة النصية"، إذ تشكل العنوان خبيراً في شبه جملة مبدوءة بحرف جر دال على الظرفية، والظرفية المكانية ممثلة في القدس هي لبّ اهتمام الشاعر وقضيته الأولى، والعنوان يغري القارئ في توقع ما هو كائن في القدس، ويداعب مخيلته ويبني سقف توقعه.

أما المحور الثاني الفعل ودلالته في القصيدة، فأخذ حيناً كبيراً من ورقة البياري لأهمية الفعل في أي تحليل أسلوبية، لأن الفعل يتمظهر بحركات متعددة تنقلنا على الدوام من ملمح إلى ملمح فيغني النص بدلالاته. واستشهد البياري بدلالات الفعل (مررنا) هذا الفعل المشبع بدلالة إنسانية لا تخفي القهر والهّم منسوباً إلى ضمير المتكلم (نا)، وهذا يفضح الحالة الذهنية عند الشاعر عندما يتجشم معاناة التعبير عن هموم أبناء وطنه المحتل.

ينتقل البياري في حديثه ضمن المحور الثاني إلى أفعال الرؤية والإبصار التي ازدحمت في قصيدة "في القدس" مستشهداً بعدة جمل شعرية منها (ماذا ترى في القدس حين تزورها؟) وهي جملة إبصارية حركية متسائلة تشرك القارئ في توقع الموجود هناك، هل موجود مألوف أم مبتكر؟ يُضاف إلى ذلك مزج الرؤية بالنفي أحياناً لإحداث حالة من الجدل والحوار.

يكشف البياري أن البرغوثي مارس تنوعاً منظماً بين الأفعال في القصيدة ما بين المضارع ثم الانتقال إلى الماضي بوتيرة أقل ثم الأمر بوتيرة أقل وأقل. وقد حقق البرغوثي من هذا الانتقال بين الأفعال مبدأ الحركية في قصيدته ممزوجاً بالفعل السرديّ الذي يحبك الأفعال في مشروع قصة شعرية قد تكتمل أبعادها في ذهن القارئ. فتناسب مع الحالة الشعورية للشاعر يؤثر من خلالها على حالة القارئ.

يطلق البرغوثي -والحديث للبياري- ملامح جمالية للمكان في إطار حركية الأفعال ويرسم صورة ذهنية للقدس ممزوجة بحالة من القلق من المدينة ومن التاريخ، وهذا الأخير حظي بمعاقبة البرغوثي معاقبة تشخص الحالة الانفعالية للشاعر المتمركز في دائرة القلق والأمل والحوار وجمال القدس.

رصد البياري من وقوفه المطول عند موضوع الفعل ودلالته في القصيدة ثمانية حقول دلالية تترجم الحالة الشعورية لدى البرغوثي وهي دلالات متفاوتة الاستخدام، رتبها على النحو التالي: حقل الرؤية، حقل الحركة والاستطاعة، حقل الرؤية، حقل التحول، حقل العقل والعاطفة والوجدان، حقل القول، حقل الاستمرارية.

أما المحور الثالث في حديث البياري فاشتغل على الأساليب اللغوية والنحوية في قصيدة "في القدس" وعلى رأسها أسلوب الشرط، والتكرار، والحذف، والتقديم والتأخير، وأسلوب الإحاطة والشمول والاستغراق. وهي أساليب وظفها البرغوثي لرسم جماليات المدينة التي قد يغفل عنها المشاهد التقليدي، فمارس البرغوثي باستخدامه لهذه الأساليب حالة من تكثيف الرؤية تقدم صورة مركبة عن القدس نابعة من جلالات نفسية عميقة.

وفي نهاية ورقته خلص البياري إلى أن العنوان مثل مدخلاً لسانياً مهماً في فهم أركان القصيدة، وأن التنقل بين الضمان يكشف الحالة الشعورية المتأزمة لدى الشاعر، وأن فعل الرؤية والإبصار كان بوصلة الأفعال في النماء بالقصيدة، وأن التفاوت في استخدام الأفعال كان ملمحاً أسلوبياً إثرائياً، فضلاً عن التعدد في استخدام الأساليب لا سيما أسلوب الشرط.

وقد أثارت ورقة البياري جملة من التساؤلات بدأها مدير الندوة بني عامر بالاستفهام عن مفهوم التحولات الحقيقية في شعر البرغوثي، وعن أي لغة تتحدث، من جانباً شارك من الحضور الدكتور نضال الشمالي بتساولين؛ أولهما عن سبب

العلاقة المتوترة بين اللغة والشعر، وثانيهما عن قدرة العنوان في شكله الحالي على كشف محتوى القصيدة ومبتغاها. أما الدكتور حسام العفوري فثمن دور اللغة في النفاذ إلى دلالات القصيدة الخفية وربطها بالحالة الشعورية للشاعر. من جهته تساءل الشاعر محمد خضير هل يمكن أن يجب أن يمتلك أي شاعر إنتاجاً واسعاً من الشعر حتى يكتب عنه وعن تجربته الشعرية. كما أضاف الدكتور سعد مقداد سؤالاً مفاده: هل تقيّد الشاعر بقواعد اللغة يمكن أن يحدّ من شاعريته ومن قدرته على إيصال مشاعره وهل التمرد على اللغة في القصيدة يعدّ مدخلاً آمناً لإبراز جمالياتها.

ومن الجدير ذكره، أن جمعية النقاد التي تأسست منذ عام ١٩٩٨ ممثلة بهيئتها الإدارية الحالية د. زهير توفيق ود. دلال عنبتاوي ود. نضال الشمالي ود. ريما مقطش ود. دعاء سلامة تعكف على عقد جملة من النشاطات النقدية المتخصصة التي تحاول رصد إيقاع النقد وتطور الإبداع محلياً وعربياً.